

الفصل الثاني

الأساس التاريخي للتربية

إن دراسة تاريخ التربية يعتبر مهماً للتربية المعاصرة لأنها تُظهر حركة المجتمع وتفاعلاته وتأثيره على التربية , فالكثير من المشكلات المعاصرة لا يمكن فهمها إلا في ضوء دراسة العوامل والقوى التي أثرت فيها في الماضي.

لذلك فإن معرفة التاريخ للتربية لا ينحصر بما دونه المؤرخون بل كان قبل ظهور الكتابة لأن العملية التربوية بدأت مع بدأ الحياة الإنسانية.

ان وجود البعد التاريخي يساعد العملية التربوية في معرفة النقاط الآتية :

١- ما ورثته الأمة من الماضي وما أعدته للحاضر وكيف تخطط للمستقبل.

٢- مواجهة المشكلات التربوية المختلفة في ضوء معالجة المشكلات القديمة المماثلة.

٣- دراسة المفاهيم التربوية التي كانت متبعة قديماً والنظر في نتائجها.

هذا وسنقوم بعرض مبسط حول تطور مفهوم التربية عبر العصور المختلفة .

التربية في المجتمعات البدائية

إن معرفة خصائص التربية في المجتمعات البدائية تتجسد في النقاط التالية:

١- بساطة الحياة وعدم تعقدها وقلة متطلباتها.

٢- الاعتماد على النفس في توفير كل مستلزمات الحياة , وانعدام أي نوع من التخصص.

٣- الإيمان بوجود القوى الروحية وراء كل قوة مادية في البيئة.

فالتربية في المجتمعات البدائية كانت تهدف إلى:

أ- نقل العادات والتقاليد وطرز الحياة.

ب- كتساب أساليب العيش المختلفة من الكبار إلى الصغار عن طريق التقليد والمحاكاة

(اليقين).

ولما ظهرت الكتابة في المجتمع (حيث إن أول مجتمع اخترع الكتابة هو المجتمع السومري في العراق القديم) تطورت التربية بظهورها وأصبح بإمكان من يتعلم رموزها أن يدون أفكاره وينقلها إلى غيره من معاصريه أو من يأتي من بعده وبذلك فقد ازدادت التخصصات وازدادت التربية قريباً وترسخت العلاقة بين المعلم وتلاميذه كما إن باختراع الكتابة أصبح للتربية مناهج مدونة ازداد ارتباطها بالتراث الذي اخذ يتراكم على مر السنين.

وبعد ارتقاء التربية وبلوغها درجة من التعقيد أصبحت ذات صفة ارسقراطية فقد احتكرها رجال الدين والطبقة الحاكمة الغنية أما الطبقة الفقيرة من الشعوب فقد اقتصر على تعلم المهارات الأساسية من الحياة.

أنواع التربية : أن الأنواع التي كانت سائدة في تلك المجتمعات هي :

١- التربية العملية ٢- التربية النظرية ٣- التربية الخلقية والدينية

فالتربية العملية فقد كانت تنسب إلى عالم المرئيات أو المحسوسات وتقوم على قدرة الإنسان الجسدية اللازمة لسد حاجاته الأساسية للحصول على ضروريات الحياة كالحصول على المأكل والملبس والمأوى كما إن الأقوام البدائية قد تركت لأطفالها مجالاً واسعاً للحرية التي يستفيدون منها في الركون إلى الكثير من الألعاب المسلية التي ساهمت بصورة فعالة في تكوينهم العقلي والفكري عن طريق شحذ قابلياتهم في الملاحظة والإبداع والتصور .

والتربية النظرية فقد كانت تستند على إقامة الحفلات والطقوس الملائمة لعقيدة الجماعة المحلية وأنشطة العبادة والنواحي الروحية في الحياة.

أما **التربية الخلقية** والدينية فقد تجسدت في حرص البدائيون على نقل المبادئ السلوكية المرغوب بها إلى أبنائهم حيث كانت السمة المميزة والغالبة للتربية الخلقية والدينية هي الجانب الروحي الذي يبدو بصورة واضحة في التعاليم والطقوس الدينية التي كانوا يمارسونها.

التربية في بعض الحضارات القديمة

التربية والتعليم في وادي الرافدين

إن حضارة وادي الرافدين تمتد جذورها في المعرفة والتعليم إلى فجر التاريخ حيث بدأ التدوين لأول مرة في تاريخ البشرية في منتصف الألف الرابع قبل الميلاد.

وغدت حضارة العراق القديم منذ عهد السومريين وأكديين ومن تلاهم تنمو وتتطور بانتظام حتى شعت بنورها ونفوذها إلى القرون التالية وقد امتد هذا الشعاع إلى خارج الرقعة الجغرافية حتى شملت جميع الجهات المحيطة بالعراق القديم.

لقد وضعت حضارة وادي الرافدين أسس علم الفلك , وعلم التنجيم وقياس الزوايا واستخدام الأقواس , واختراع العربات , واختراع الكتابة المسمارية وغيرها,

ان الانسان في هذه المنطقة كما يقول المؤرخون سبق الناس كلهم في جميع المجالات منها:

١- أول من تفاهم بالكلمة المكتوبة وتلك أعظم خطوة خطاها البشر في طريق الحضارة.

٢- انشأ إنسان وادي الرافدين أول مدرسة فكان هناك أول تلميذ وأول معلم وأول كتاب مدرسي وأول قاموس وأول مكتبة.

المدرسة العراقية القديمة :

وردت لفظة المدرسة في اللغة السومرية بصيغة (أي - دوبا) وقد ترجمها الاكديون بـ (بيت توبي) أي (بيت الألواح).

وان اول مدرسة في العالم قد أسست في بلاد ما بين النهرين وتلا ذلك زيادة ملحوظة في عدد المدارس النظامية حيث اكتشف في أوائل القرن العشرين عدد من الألواح المدرسية كانت مادتها تتحدث عن الإدارة والاقتصاد , وتظهر الألواح أيضا إن الذين مارسوا فن الكتابة كانوا بالآلاف , وكان هدف المدرسة السومرية يتجسد في :

١-الاقتصار على تعلم اللغة السومرية.

٢-تدريب الموظفين على شؤون الاقتصاد والإدارة للعمل في دواوين الدولة وفي المعابد.

٣- واستجابة لحاجات المجتمع فقد كان هدف المدرسة تخريج فئة من النساخ للاحتفاظ بالسجلات الرسمية للدولة والتي كانت تكتب باللغتين السومرية والاكديية.

نظام التعليم والمناهج الدراسية :

١ - نظام التعليم :

هناك حقيقة بارزة يجب ذكرها عن نظام التعليم في المدرسة السومرية هي إن المدرسة لم تكن على شيء مما يمكن تسميته بالتعليم الحر التقدمي فقد كانت (العصا) غالباً هي التي يلجأ إليها المعلم للمحافظة على النظام , ومع ذلك كان المعلمون يشجعون طلابهم عن طريق المدح والثناء كما إن نظام التعليم ليس سهلاً وذلك:

أ- لكي يحقق الطالب النجاح يجب عليه المواظبة على دروسه في المدرسة يومياً من الشروق حتى المغيب.

ب- حق للطلاب التمتع بعطلة معينة في وقت من أوقات السنة.

ج- ان سني الدراسة كانت طويلة فالطالب يلزم المدرسة منذ صباه إلى أن يصبح شاباً.

د- ان نظام المدرسة يتطلب فترة تحضيرية تتخللها الامتحانات , وامتحانات الإعادة.

٢ - المناهج المدرسية :

إن المدرسة العراقية القديمة كانت تتبع ما يسمى آنذاك **بالتعليم النظامي** الذي كان مكانه المدرسة التي كانت ملحقة عادةً بالمعبد الذي يكون في المدن الرئيسية حيث اشتهرت كل مدينة عراقية قديمة بمنهج معين , وان الوثائق السومرية تبين لنا إن المنهج المدرسي كان يتضمن نوعين من الدراسات هما الدراسات العلمية والدراسات الأدبية حيث دلت قوائم الكلمات التي اكتشفت حديثاً في الألواح المدرسية تشير إلى المنهج المدرسي الذي كان يشمل:

(المواقع الجغرافية , الجداول الرياضية , الصيغ السومرية , التعويذات الدينية , مجموعة الأمثال والمصطلحات التقنية التي تخص المهن والحرف والخرائط وعقود العمل) .

أما بالنسبة للكادر التعليمي فقد كان يتخذ التسميات الآتية :

١- يسمى مدير المدرسة بـ (أب المدرسة) ويلقب بـ (الأستاذ) احتراماً له, وقد جاء في إحدى المدائح النموذجية (الأستاذ هو الإله الذي يبني الإنسانية).

٢- يسمى المعلم (ألياً) وتعني العلامة أو الأستاذ حيث كان يعتقد السومريون والبابليون إن (الاليا) يعرف كل شيء طالما يعرف الكتابة بالخط المسماري لان الخط المسماري كان مقدساً ص.

٣- المكتبات :

كانت المكتبات منتشرة في جميع المدن الإقليمية تقريباً وعلى مسافة متاخمة لكل مكتبة توجد مدرسة للنسخ ملحقة بها.

وان اكبر مجموعة من الألواح كانت تتمثل في المكتبة الخاصة بـ (أشور بانيبال) في نينوى الذي كان مولعاً بالآثار والذي بدوره نظم حملة واسعة للبحث عن الآثار والنقوش القديمة وجمع كل المصادر الثقافية والتاريخية لاسيما في بلاد سومر وأكد حيث عثر في مكتبته على نحو (٢٥٠٠٠) لوحة سليمة أو محطمة.